جامعـــة القاهرة
كليــة دار العلــوم
قسم الفلسفة الإسلامية

القلائد في شرح العقائد

لمحمود بن أحمد بن مسعود القونوي (ت ٧٧١هـ)

دراســـة وتحقـيق

أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعـــداد
مبروك إبراهيم مبروك يوسف

إشـــراف
أ. د. عبد اللطيف محمد العبد
أستاذ الفلسفة الإسلامية
بكليـة دار العلـوم
جامعـــة القاهرة

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

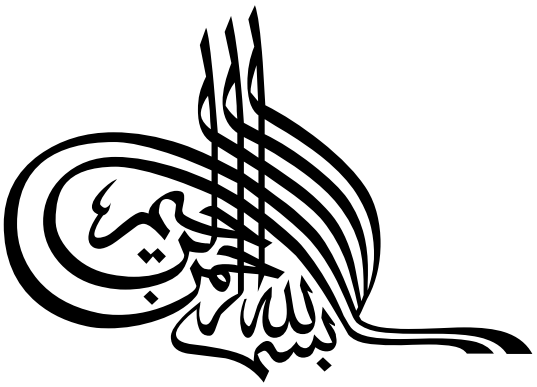
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [ ]

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ﴾ [ ]

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [ ]

﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ [ ]

الإهـــــداء

إلى روح أبي الطاهرة ذلك الرجل الذي علمني كيف يكون العلم غاية الإنسان ؛ فهو أهم الوسائل التي توصلنا إلى الإيمان الحق ،
تغمده الله برحمته وجزاه عني خير الجزاء .

إلى أمي الحبيبة التي لطالما تحملت مني المشاق وأعانتني على إتمام هذا العمل ، فجزاها الله عني خير الجزاء .

إلى أخوتي .. أسأل الله لهم الخير في الدنيا والآخرة .

إلى كل من أعانني في هذا البحث ، جزاهم الله عني خيرًا .

إلى هؤلاء أهدي هذا البحث .

الباحـــــث

بسم الله الرحمن الرحيم

« شــكر وتقــديـر »

الحمد لله من قبل ومن بعد ، حمداً يليق بجلال وجهه وبعظيم سلطانه ، أشكره ﷻ على فضله العظيم ؛ بأن يسَّر لى هذا العمل ، ووفقنى لإنجازه على هذا الوجه .

إنه ليشرفنى أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان والعرفان للمشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور /**عبد اللطيف محمد العبد** ، أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بالكلية ، ذلك العالم الذى لم يبخل علىَّ بجهدٍ ولا بعونٍ ، فعوَّضنى عن صبر أبِى علىَّ وشدِّه من أزرى ، فوجدتُّ فيه خير معين فى دراستى بفضل توجيهاته الجليلة ، وسعة صدره لكل ما أقول ؛ فلم يجعلنى مجردَ ناقلٍ عن غيرى ، متحدثاً بلسان الآخرين ، وما كان لى أن أتحدث برأيى فى هذه الدراسة إلا بعد توجيهه – حفظه الله – لى بأن أظهر شخصيتى فى بحثى ، ولا أتوارى خلف ما يقرره غيرى ، وقد اجتهدتُّ فى ذلك ، فعسى أن أكون عند حُسن ظنه بى .

والحق أنه لولا فضل الله ثم جهد هذا العالم الجليل لوقعتُ فى مالا يُعد من الأخطاء، فلازلتُ أذكر كم صوَّب لى من أخطاء ومفاهيم كنت أحسبها صواباً ، وكم وقفتُ خَجِلاً مستحيياً من كثرة وسذاجة أخطائى ، والكلام لن يكفيه قدره ؛ فلقد أرهقته بكثرة أخطائى ، ولكن لا أملك إلا الدعاء له بأن يحفظه الله ﷻ ، ويثقِّل له موازينه يوم الحساب .

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير للسادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتور **/ محمد السيد الجَلِيَند**

والأستاذ الدكتور **/ محمد عبد الستار نصَّار**

على قبولهما مناقشة هذه الدراسة ، شاكراً لهما جهدهما الجليل فى القراءة والتمحيص ، فجزاهما الله عنى خير الجزاء ، وجعله الله لهما فى ميزان حسناتهما يوم الحساب .

ثم لا يفوتنى أن أشكر كل من علَّمنى حرفاً فى هذا المكان – حياً كان أو ميتاً – فجزاهم الله عنى خيراً .

الباحـــث

القسم الأول

الدراســــــــة

دراسة بعض قضايا مخطوط " القلائد فى شرح العقائد "

لمحمود بن أحمد بن مسعود القونوى (ت ٧٧١هـ)

القسم الثانـي

التحـقـــــــيق

تحقيق مخطوط " القلائد فى شرح العقائد "

لمحمود بن أحمد بن مسعود القونوى (ت ٧٧١هـ)

التمهيـــــد

لما كان موضوع الدراسة والتحقيق هو شرح العقيدة الطحاوية الذى قام بكتابتها الإمام أبو جعفر الطحاوى ، فكان لابد من الترجمة لصاحب هذه العقيدة التى قام بشرحها الكثير من العلماء فى مختلف الأزمان قبل الترجمة لصاحب الشرح موضوع الدراسة والتحقيق ؛ حتى يمكن التعرف على صاحب هذا المتن الذى قامت على أساسه كل هذه الدراسات .

ترجمة الإمام الطحاوى:

اسمه ولقبه : أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن سليم بن سليمان بن حبَّاب الأزدي الحجري المصري أبو جعفر ، الطحاوى ، الإمام ، الفقيه ، الحافظ ، المُحَدِّث.

حياته وعلمه : ولد ونشأ في (طَحَا) من صعيد مصر سنة (٢٣٩هـ)، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيا ، ورحل إلى الشام سنة (٢٦٨ هـ) فاتصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصته، وتوفي بالقاهرة سنة (٣٢١هـ).

انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، أخذ العلم عن أبي جعفر بن أبي عمران، وأبي خازم وغيرهما، وكان شافعيا يقرأ على أبي إبراهيم المزني، فقال له يوما: والله لا جاء منك شئ، فغضب أبو جعفر من ذلك، وانتقل إلى ابن أبي عمران، فلما صنف مختصره، قال: رحم الله أبا إبراهيم: لو كان حياً لكفَّر عن يمينه .[١]

مصنفاته :

(شرح معاني الآثار – ط) في الحديث ، مجلدان، و (بيان السنة – ط) رسالة، وكتاب (الشفعة – ط) ، و(المحاضر والسجلات)، و (مشكل الآثار – ط)، أربعة أجزاء، في الحديث، و (أحكام القرآن) ، و (المختصر) في الفقه، وشرحه كثيرون، و (الاختلاف بين الفقهاء – خ) الجزء الثاني منه في دار الكتب ، وهو كبير لم يتمه ، و (تاريخ) كبير منه مجلدات مخطوطة في اسطنبول، باسم: (مغاني الأخيار في أسماء الرجال ومعاني الآثار) ،و (مناقب أبي حنيفة). [٢]

---

١ – تقى الدين بن عبد القادر التميمى الدارى الغزى : الطبقات السنية فى تراجم الحنفية : ج١: ص١٣٦، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ ، الرياض .

٢ – خير الدين الزركلى : الأعلام : ج١: ص ٢٠٦ ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت .

ترجمة الشارح للعقيدة الطحاوية :

اسمه ولقبه ومولده : هو محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوي بن سراج الدين الحنفي أبو المحاسن، المعروف بابن السِّراج بكسر المهملة وتخفيف الراء وبعد الألف جيم ، وُلِدَ قبل السبعمائة بمدينة دمشق.

مصنفاته : [1]

تعددت وتنوعت مصنفات القونوي ، وقد جمعها إجمالاً ابن قطلوبغا(ت ٨٧٩هـ) في كتابه " تاج التراجم" وكذلك صاحب " كشف الظنون" ، أهمها :

- " الإعجاز في الاعتراض على الأدلة الشرعية " مخطوط.
- بغية القنية في الفتاوي " مجلد" مخطوط.
- التفريد" مختصر تجريد القدوري " مخطوط ، و " شرح مختصر القدوري" في أربع مجلدات سماه : " التفريد " مخطوط .
- القلائد في شرح العقائد " شرح عقيدة الطحاوي شرحًا بسيطًا " ، وهو المخطوط موضوع الدراسة والتحقيق .
- " القلائد" في شرح "عقائد النسفي " مخطوط.
- " الزبدة " في شرح " عمدة العقائد للإمام النسفي(ت ٥٠٨هـ) " مخطوط .
- تلخيص للفتاوي الكبرى للإمام حسام الدين عمر بن عبد العزيز الحنفي المتوفى سنة ٥٣٦ هـ.
- " القنية في الفتاوي" " مجلدين " .
- حاوي مسائل الواقعات والمنية ، وما ترك في تدوينه من مسائل القنية .
- " مشرق الأنوار في مشكل الآثار" .
- " المعتمد" في أحاديث مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة (ت:١٥٠هـ) ، مختصر على ثلاثة وثلاثين بابًا على ترتيب الفقه " مخطوط" .

---

١ – انظر هذه المصنفات: أبو العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا: تاج التراجم في طبقات الحنفية : ص٧٠ ، ١٩٦٢م ، طبعة مكتبة العاني ، بغداد .

- " المنتهى " ثلاث مجلدات على شرح المغني في أصول الفقه للشيخ جلال الدين عمر بن محمد الخبازي (ت ٦٩١هـ) .
- منتخب وقفى هلال والخصاف " مجلد " .
- "خلاصة النهاية في فوائد الهداية" ،" مختصر الهداية للشيخ برهان الدين بن أبي بكر المرغيناني الحنفي ،(ت ٥٩٣ هـ)" مخطوط. [١]

علمه :

كان فاضلاً في الأصول والفقه ، وقورًا، ساكنًا يرتل عبارته، وله مؤلفات، ودَرَّسَ بالخاتونية، والريحانة، من مدارس دمشق، ثم وَلِيَ قضاء الحنفية بدمشق مرتين . [٢]

وذكر الدمشقي صاحب " الرد الوافر" أنه – أي المصنف – صاحب مؤلفات تفصح عن تحققه وعلمه ، كتب بخطه خطبة من خطب الشيخ تقي الدين أبي العباس ابن تيمية (ت:٧٢٨ هـ) حين خرج من حبس الإسكندرية بالمدرسة الكاملية في القاهرة في جمع كثير من العلماء والأمراء ، وغيرهم . [٣]

وكل ما سبق من مصنفات تبين مدى سعة علمه في مختلف العلوم من فقهٍ، وأصول ، وحديث ، وغيرها ، وتبين أيضًا مدى اطلاعه على مصنفات علماء أجلاء كالإمام النسفي ، والإمام أبي حنيفة ، والإمام الطحاوي(ت ٣٢١هـ) – رحمهم الله تعالى– ، وتتلمذه بطريق مباشر ، أو غير مباشر على هؤلاء ، إما عن طريق قراءته لعلومهم واطلاعه عليها ، وشرحه لها ، أو من خلال مجالسة علماء آخرين وعلى رأسهم والده – والذي سأفرد له ترجمة هو ومن أخذ عنهم – حتى لنراه يشرح كتبهم، ويخرجها ، ويدرسها " فلقد دَرَّسَ بدمشق بالريحانية سنة ثمان وعشرين

---

١ – هذه المصنفات بترتيبها السابق: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجى خليفة (١٠١٧– ١٠٦٧هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: جـ١: ص ١٢١ ، ٢٤٩ ، ٣٤٦ ، جـ٢: ص ١١٤٣ ، ١١٤٨، ١١٦٨، ١٣٢٩، ١٣٥٧، ١٦٣٢ ، ١٦٩٢، ١٧٣٢، ١٧٤٩، ١٨٥٠ ، ٢٠٣٢ ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، على نفس ترتيب الصفحات السابقة ، وحاولت جاهدًا أن أقف على مَظَان هذه الكتب فلم يتيسر لي إلا ما ذكرت من حيث المخطوط أو المطبوع .

٢ – ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : جـ٤ : ص ٣٢٣ بتصرف، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م ، ط دار الجيل ، بيروت.

٣ – ابن ناصر الدين الدمشقي: الرد الوافر : ص ١٢٥ ، تحقيق: زهير الشاويش ، الطبعة الأولى ، بيروت .

وسبعمائة ".[1]

وكان – رحمه الله – متمكنًا من المذهب الحنفي ، حتى إنه وَلِيَ قضاء الحنفية " ففي سنة ٧٥٩هـ العشر الأخر من شهر شعبان تولى قضاء الحنفية قاضي القضاة جمال الدين محمود بن السراج – أي المصنف – فحكم نحوًا من ثلاثين يومًا ، ثم صرف في أول شوال وأُعيد قاضي القضاة تاج الدين السبكي ، وكانت التنقلات كلها صادرة عن رأي صرغتمش"[2] .

وربما كان هذا العزل نتيجةً لما أفرزته هذه الفترة من عدم استقرار وتقلبات سياسية، والتي ستتبين عند دراسة عصر المؤلف اجتماعياً وسياسيًا ودينيًا وعلميًا ، ولا يُشَكُ أبدًا أن ذلك كان لقلةٍ أوقصورٍ في علمه ، فمصنفاته تترجم لهذا العالم الجليل" القونوى" ترجمةً تفصح عن تمكنه ، وهذا ما أورده كل من ترجموا له ، ولهذا فقد ثبت أنه عالمٌ متمكن فى مجاله .

وفاته :

توفى بدمشق سنة إحدى وسبعين وسبعمائة عن ست وسبعين سنة ، وفي السنة السادسة من سلطنة الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة سبعين وسبعمائة * توفى قاضي القضاة جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القونوي بدمشق عن ستٍ وسبعين سنة ، وكان – رحمه الله – من العلماء الأماثل كان رأسًا في الفقهاء الحنفية ، بارعًا في الأصول والفروع، ودرَّس بدمشق بعدة مدارس ، وأفتى ، وجمع ، وألف رحمه الله تعالى .[3]

شيوخه :

---

١ – محيي الدين أبو محمد عبد القادر محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي : الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : جـ٣: ص ٤٣٦ ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ– ١٤٠٨هـ، ١٩٧٨ – ١٩٨٨م ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، ودار العلوم بالرياض.

٢ – عبد القادر محمد بن محمد النعيمي الدمشقي ت ٩٢٧هـ: الدارس في تاريخ المدارس : جـ١ : ص ٦٢٤ ، ط.١٤١٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* اتفقت كتب التراجم التي ترجمت للمصنف حول عمره، وهو ستٌ وسبعون سنة، مع الاختلاف حول سنة الوفاة مابين سنة سبعين وسبعمائة وإحدى وسبعين وسبعمائة .

٣ – جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨١٣ – ٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جـ١١: ص ١٠٥ ، طبعة مصورة من دار الكتب المصرية .

وقد أخذ العلم عن أبيه ، عن جلال الدين الخبازي(ت ٦٩١هـ) عن عبد العزيز البخاري عن فخر الدين محمد المايمرغَى الحنفي ، عن محمد بن عبد الستار الكردري ، عن صاحب الهداية برهان الدين أبي الحسن على بن أبي بكر عبد الجليل المرغيناني ... [١] ، ولا يخفى على الدارس أنه متأثر بالماتريدي(ت ٣٣٣هـ) والإمام النسفي(ت ٥٠٨هـ) مما لا يدع مجالاً للشك أنه تتلمذ عليهما ، وإن كان ذلك من خلال الاطلاع على مصنفاتهم ، لا من خلال معايشتهم فلم يكن القونوى معاصراً لهم .

ترجمة بعض شيوخه :

١ – والده : أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن أبو العباس القونوي ، تفقه على الشيخ جلال الدين عمر الخبازي ، وقرأ عليه الأصول ، وتفقه عليه العلاَّمة محيي الدين بن على المعروف بالأسمر ، شرح الجامع الكبير في أربع مجلدات وسماه التقرير ، ومات ولم يُكمل تبييضه ، فكمله ولده أبو المحاسن[٢] – أي المصنف – صاحب المخطوط موضوع الدراسة .

٢ – محمد بن عبد الستار بن محمد العمادي الكردري ، أبو المجد شمس الأئمة من علماء الحنفية ، من أهل بخاري ، ووفاته فيها ، من كتبه الرد والانتصار في الذب عن الإمام أبي حنيفة ، وذكر مناقبه [مخطوط] ، ومختصر في فقه الحنفية . [٣]

٣ – عبد العزيز بن أحمد النجاري ، تفقه على محمد المايمرغي وهو محمد بن الحسن إمام الأئمة على الإطلاق . [٤]

٤ – أبو المعين النسفي(ت ٥٠٨هـ) : ميمون بن محمد بن معبد بن مكحول ، عالم بالأصول والكلام ، كان بسمرقند ، وسكن بخارى ، من كتبه " بحر الكلام ط) ، (تبصرة الأدلة ط) في الكلام ، و (التمهيد لقواعد التوحيد – خ) ، (العمدة في أصول

---

١ – اللكنوي : الفوائد البهية في تراجم الحنفية : ترجمة رقم ٢٠٧، تحقيق : أحمد الزغبى ، ط ١٩٩٨م ، دار الأرقم ، القاهرة.

٢ – ابن أبى الوفاء القرشى:الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : جـ١:ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

٣ – انظر: خير الدين الزركلي : الأعلام : جـ٧: ص ٢٥٥ ، الطبعة الثانية .

٤ – ابن أبى الوفاء القرشى : الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : جـ٢: ترجمة رقم: ٨٢٠ ، وانظر الترجمة للمايمرغي كاملةً في نفس المرجع: جـ٣ برقم ١٤٨٣ .

الـدين – خ) ، (العـالم والمـتعلم – خ)، (إيضـاح المحجـة لكـون العقـل حجـة)، (شـرح الجامع الكبير للشيباني) في فروع الحنفية، (مناهج الأئمة) في الفروع . [1]

وهذا العالم تحديدًا نجده قد التزم معظم أقواله وعباراته في كثير من قضايا المخطوط ، فبعد اطلاعي على رأي العالمين– النسفى والقونوى– في عدة قضايا سواء المطبوع من كتبهم أو المخطوط ، وجدت اتفاقاً في نفس اللفظ الذى يتناول القضايا المشتركة، وهذا يشير إشارة واضحة إلى أن النسفي أحد الأئمة الذين تتلمذ عليهم القونوى ولو بالاطلاع.

٥ – كذلك يبدو تأثره الشديد بأبي منصور الماتريدي(ت ٣٣٣هـ) في معظم الآراء حتى إنه ليعيد ذكر الماتريدي في أغلب ما ذكر من آراء فيما تناول من قضايا كلامية مستشهدا ومستندا ومؤيدا لما يرى وكأنه مرجعه الأصيل .

عصر المصنف وظروفه :

لقد ترجم للمصنف العديد من العلماء ، ومن خلال هذه التراجم استطاع الباحث الوقوف على عصر هذا المؤلف – محمود بن أحمد بن مسعود القونوي الحنفي الدمشقي – فقد اتفقت كتب التراجم على أنه وُلِدَ قبل السبعمائة من هجرة المصطفى ﷺ ، واتفقت على أنه توفّى بدمشق سنة إحدى وسبعين وسبعمائة من الهجرة النبوية الشريفة ، وإن ذُكر في بعضها أنه توفَّى سنة سبعين وسبعمائة ، ولكنها جميعًا اتفقت على أنه تُوفَّى في سن ستٍ وسبعين سنة .

وعلى أية حال ، ومع عدم الوقوف كثيرًا على هذا الخلاف عند سنة واحدة ما بين سبعين وسبعمائة ، أو إحدى وسبعين وسبعمائة ، فالأمر لا يخلو إذن من الجزم بأنه قد وُلِدَ ما بين عامّى أربعٍ وتسعين وستمائة ، أو خمسٍ وتسعين وستمائة للهجرة النبوية المباركة .

وهذا معناه أن هذا المبحث سيختص بدراسة عصر المؤلف ، وهو مابين ٦٩٤ هـ، أو ٦٩٥ هـ إلى ٧٧٠ هـ أو ٧٧١ هـ.، وظروف هذا العصر أيضًا ، ولكن أود أن أبين أن الاهتمام لن يكون في سرد الأحداث التاريخية جملةً وتفصيلاً ، بل سيتجه التركيز نحو الوقوف فقط على الظروف العامة لهذا العصر ، والتي ربما تداخلت وأثرت بشكلٍ ما في حياة المؤلف ، كأحد المتعايشين في هذه الحقبة الزمنية .

وليبدأ الحديث عن بدايات عصره ، حيث يرجح أنه وُلِدَ في زمن العادل زين الدين كتبغا ، بعد المرة الأولى التي تولى فيها الناصر محمد بن قلاوون .

---

١ – ابن أبى الوفاء القرشى : الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : ٢: ١٨٩ ، وانظر الزركلى: الأعلام : ج٨: ص٣٠١ .

إذن فهو لم يولد إلا بعد سلطنة الناصر محمدبن قلاوون الأولى .

وقد غلبت على فترة حكم كتبغا كثير من المشاكل والصراعات ، فقد أصيبت بلاد الشام ومصر بأمراض ومجاعات أودت بحياة الكثيرين ، ثم إنه تحيّز لبعض التتار الوثنيين الفارين عبر الفرات صوب مصر؛ خوفًا على أنفسهم من غازان محمود إيلخان المغولي الفارسي الذي اعتنق الإسلام وأقطعهم الأراضي .

كل ذلك جعل الناس يتضايقون من حكمه ، ثم جاءت فترة الصراع على الحكم بينه وبين حسام الدين لاجين ، وانتهت لصالح لاجين ، رغم كل محاولات كتبغا لاسترداد ملكه إلا أنه فشل وتنازل عن السلطة مع وجود السلطان الناصر محمد بن قلاوون صاحب الشرعية الأول في الحكم ، كل ذلك كان يمثل تخبطاً في هذه الفترة من حكمه بين المشاكل الاقتصادية والسياسية في مصر والشام . [١]

ثم جاءت فترة حكم الناصر محمد بن قلاوون الثانية بعد موت لاجين ، فعَمّتْ السعادة والاستقرار البلاد في بداية الأمر ، ثم عادت التقلبات مرة أخرى ، ولذلك يكون الملك قاصرًا...، وبسبب الصراع بين "بيبرس الجاشنكير" من جهةٍ وبين "سلار" من جهةٍ أخرى عمت الإضطرابات البلاد ، وأحاط خطر التتار مع كل هذه الاضطرابات ، وبسبب كل هذه القلاقل والتوترات والخلافات حدثت زلزلة خطيرة لم تعهد مثلها البلاد من قبل ، على حد قول ابن أيبك : " لم يُعهد بمصر مثلها من قبل "[٢] .

ثم انتهى الأمر بهرب الناصر محمد بن قلاوون إلى قلعة الكرك بعد ضيقه وتظاهره بأنه يريد أن يحج ، وتنازل عن السلطنة ، فتولاها بيبرس الجاشنكير ، بعد فترة عشر سنين من حكم الناصر محمد بن قلاوون .

ثم بدأ الناصر في رحلة جديدة أخرى من حياته وهي مرحلة الفتوة ، وتكوين القوى والجيوش ، وأخذ طريقًا يلتمس فيه مُلكه الضائع.

---

١ – انظر : د. سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام : ص ١١٢– ١١٧ ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٤م ، مكتبة الأنجلو المصرية.

٢ – أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر : جـ٩ : ص١٠٠ : ١٠٣ ، تحقيق : هانس روبرت رويمر ، نشر المعهد الألماني للآثار بالقاهرة ، منشورات مكتبة سامى الخانجى ١٣٧٩هـ– ١٩٦٠م .

ولم يكن الناصر زاهدًا في الملك عندما تركه من قبل ، بل كان فطنًا؛ لما أملتهُ عليه تلك الظروف في هذه الفترة إلى أن استقر الأمر له وبدأت سلطنته الثالثة (١٣٠٩ م–١٣٤٠م/٧١٠هـ–٧٤١هـ)، وكانت هذه الفترة التي استمرت إحدى وثلاثين سنة من أزهى فترات الحكم المملوكي ، حتى إنه لم يتمتع بمثلها ملك ولا سلطان من المماليك ، وظهرت فيها شخصية الناصر حتى وُصِفَ بأنه كان " ملكًا عظيمًا ، محظوظًا ، مُطاعًا ، مُهابًا ، ذا بطشٍ ودهاءْ ، وحزمٍ شديد ، وكيدٍ مديد .. "[١]

وانعكست آثار هذه الفترة على البلاد سياسيًا ، وأدبيًا ، واقتصاديًا وفكريًا ، حيث تم إعمار المساجد، وبناء المدارس وإنشاء الدواوين وعم الرخاء، وقد وصف المقريزي(ت ٨٤٥هـ) السلطان محمد بأنه كان محبًا للعمارة ، ولم يهمل الدفاع عن حدود الدولة، وانتظمت دواوين الحكومة ، وألغى وظيفة كاتب السلطنة ، واستبدلها بوظائف أخرى ... المهم أنها كانت فترة من أزهى فترات الحكم المملوكي بعد طول صراع وانحدار واضطراب.[٢]

ثم يجيء عصر أولاد الناصر محمد بن قلاوون تبعًا لعصر والدهم والذي استمرت فترة حكمهم من سنة(١٣٤٠م – ١٣٦١م/٧٤١هـ–٧٦٢هـ) .

وعن أهم ما يميز هذه الفترة يقول الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: " وأهم ما يلاحظ على هذه المرحلة التي استمرت حتى سقوط دولة المماليك البحرية ، وقيام دولة المماليك البرجية أو الشراكسة سنة ١٣٨٢م–٧٨٣هـ هو ازدياد نفوذ الأمراء ، وتعاقُب عدد كثير من أبناء السلطان الناصر محمد ثم أحفاده في منصب السلطنة ، ومعظمهم كانوا صغارًا أو أحداثًا مما جعلهم أُلعوبة في أيدي كبار الأمراء ." [٣]

ومن أهم ما يُشار إليه من أحداث في فترة حكم أولاد الناصر وجود الوباء الأسود وهو الطاعون ، الذي عَمَّ معظم الكرة الأرضية في هذه الفترة من الزمان حتى وصل إلى مصر والشام ، مما جعل ابن حبيب يستهل كتاباته عن سنة ٧٤٩ هـ بقوله : " فيها كان الفناء العظيم

---

١ – أبو المحاسن بن تغري بردي :المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : جـ٣ : ورقة ٥٠ تحقيق: محمد محمد أمين ، نبيل محمد عبد العزيز ، ط /١٩٨٤ – ١٩٨٥م ، القاهرة.

٢ – د. سعيد عبد الفتاح عاشور:العصر المماليكي : ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

٣ – المرجع السابق : ص ١٢٩ .